أيهجرني قومي.. عَفَا اللّٰهُ عَنهُمْ ؟!..

بقلم : الأستاذ عبد الله حمد الحقيل

اللغة العربية لغة القرأن والسنة ، يتجسد فيها البيان العذب المشرق الجميل ، والمعنى الرائع البديع المورق ، وتبرز فيها البلاغة والفصاحة ، وسماها القرأن الكريم « اللسان العربى المبين » ولكم بذل الشعوبيون والمستعمرون وأعداء الإسلام الجهود المتواصلة لمحاربة اللغة العربية وتنفير الأمة العربية من لغتها والتأثير عليها ، وإيهامها بأن اللغة العربية ليست من اللغات العالمية الحية : ولذا نجد البعض قد انساق وراء هذه الكلمات متأثرا بها . ولقد قيل من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه استخف بتراث أمته واستهان بخصائصها ..

ونحن حينما ندعو دائما للحفاظ على اللغة العربية والاهتمام بتراثها : فليس معنى ذلك أننا لا نريدها أن تساير العصر والعلم ، وبخاصة وأنها لغة معطاء . فقد أعطت الكثير . فمن يقرأ قواميس اللغة العربية يدرك عظمتها وتألقها وازدهارها وسعتها وشموها . ومن تلك الكتب على سبيل المثال :

١ ـ تاج العروس للزبيدى .
٢ ـ لسان العرب لابن منظور .
٣ ـ الصحاح للجوهرى .
٤ ـ القاموس المحيط للفيروز ابادى
٥ ـ المصباح المنير للفيومى .
٦ ـ معجم فن اللغة لأحمد رضا .
٧ ـ أساس البلاغة للزمخشرى .
٨ ـ دقائق العربية لأمين ناصر الدين .

وغيرها من أمهات الكتب والمعاجم والقواميس . ولا صحة لما يقال بعدم قدرتها على التفاعل والتطور السريع .

إن الواجب علينا نشر لغتنا لترجع لها سيرتها الأولى : أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية . وهى اليوم قادرة على استيعاب المعرفة بوسائلها المتنوعة ..

ولعل مما يؤسف له شيوع الكثير من الأسماء والمصطلحات والمسمّيات الأجنبية بيننا اليوم فى هذه الديار التى هى المهد الأول الذى ولدت فيه اللغة العربية وشب البيان العربى الفصيح فيها ، وهى المثابة التى تهوى إليها الأفئدة وتتعلق بها القلوب والأبصار .

وإذا كانت كل أمة تعتز بلغتها وبتراثها وأرضها : فأولى بنا الحفاظ على لغتنا وفاء لها واعتزازاً بتاريخنا وتراثنا الذى ترتكز عليه شخصيتنا . إننا نمر بمراحل نمو وتطور حضارى تشهدها بلادنا اليوم ، وتبعا لذلك كثر الوافدون إلى هذه الديار من شتى الأجناس ومن مختلف الأمم ، فصرنا نسمع كلمات أعجمية كثيرة تتدفق علينا باستمرار . ولعل مما يحز فى النفس أن نسمع من بعض أساتذة العلوم كلمات توحى بأن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة . ولعل مرد ذلك القول إلى جهل بعضهم بقواعد اللغة وأسرارها ومواطن قوتها ومكامن حيويتها إلى جانب عدم الثقة بكفايتها .. ورحم الله القائل :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية   وما ضقت عن آى به وعظات

وأعتقد جازما أن اللغة العربية قادرة على استيعاب تلك المصطلحات : فاللسان العربى غير قاصر عن إيجاد أسماء لتلك المسميات والمصطلحات وإيجاد الألفاظ العربية أو المعربة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة ..

ان الكثير من كتابنا وبعض أساتذة الجامعات والمدارس فى عالمنا العربى لا يحفلون بلغتهم . ونجد أن حماسهم لها فاتر وصلتهم بها ضعيفة ومتراخية ولعل ذلك يعود إلى أن الكثير منهم درس معظم العلوم بلغات أجنبية فأصبحت الهوة بعيدة بينه وبين لغته العربية ..

إن قضية اللغة قضية حيوية فى أصلها وجوهرها؛إذ تتصل بديننا وتراثنا وحياتنا ومستقبلنا وبناء أجيالنا وربطهم بجذورها وإشعارهم بأهمية اللغة العربية والحفاظ عليها ..

وكل ذلك يستدعى جهداً علمياً صادقاً متواصلا لتصفية اللغة مما علق بها من الشوائب والكلمات الدخيلة التى غزتها فى كل وسائل الحياة .. (وبهذه المناسبة أورد بعض الكلمات التى صارت شائعة على الألسنة وينطقها أبناء الضاد بكل يسر وسهولة ومنها على سبيل المثال :

برافو	بروفة	أوتيل	بدروم	تيكت
تلفزيون	راديو	تلسكوب	رادار	كاش
لسته	سينما	مدام	ماما	أنكل
طنت	جنتلمان	سوبر	روب	صالون
انترفيو		أوكسجين	باى ـ باى	كوانتر
ميكروفون	ميكروفيلم	فيلم	ترانزستور	لمبة
سوتش	بروجرام	بوستة	بنطلون	شيك
روف جاردن	مستر	اجزخانة	فريزر	فوتيه
هاللو	كفرات	كوت	موتور	أوكى

ورحم الله حافظ إبراهيم الذى قال : عندما رأى البعض من العرب منصرفين عن اللغة ، ورأى تحولهم عنها واهتمامهم بغيرها .. وحينما تحدث على لسان اللغة العربية وهى تندب حظها بين أبنائها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى   وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى   عقمت فلم أجزع لقول عداتى
ولدت ولما لم أجد لعرائسى   رجالا وأكفاء وأدت بناتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية   وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله   وتنسيق اسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن   فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى   ومنكم وان عزَّ الدواء أساتى
فلا تكلونى للزمان فاننى   أخاف عليكم أن تحين وفاتى
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة   وكم عزَّ أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا   فياليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب   ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
ولو تزجرون الطير يوما علمتم   بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله فى بطن الجزيرة أعظما   يعز عليها أن تلين قناتى
حفظن ودادى فى البلى وحفظته   لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق   حياء بتلك الاعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا   من القبر يدنينى بغير أناة
أيهجرنى قومى ـ عفا الله عنهم ـ   إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لُوثة الافرنج فيها كما سرى   لعاب الافاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة   مشكَّلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل   بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فإما حياة تبعث الميت فى البلى   وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لا قيامة بعده   ممات لعمرى لم يقس بممات

وبعد فما أكثر الغريب الدخيل على لغتنا الجميلة التى يجب أن نصونها ونحافظ عليها : فهى دعامة قوية من دعائم تطورنا ورقينا ونهضتنا، وعنصر هام من عناصر المعرفة والثقافة وهى لسان كل عربى .

فأعيدوا يا بنيها   نهضة تحيى ثراها

ولنطهر لغتنا من العبارات الأجنبية التى تزرى بها ، ولننظفها من الدخيل والتراكيب الأعجمية الثقيلة الباردة التى تخدش وجهها وتشينها ...